الرّواية الصّهيونية

محاولــة يائسة لطمس حقيقــة الــنكبة عام 1948م

أ.د. نعمان عاطف عمرو

جامعة القدس المفتوحة

فلسطين.

ملخص:

يعتقد البعض أنّ الــرّواياتِ الصهيونيةَ بدأت بالظهور مع المؤتمر الصّهيونيّ الأول المنعقد عام 1897م، أو أنّ الصهيونية هي صاحبة الــرّواية الأولى تجاه هذه الأراجيف المفتعلة، والأكاذيب الملفّقة والحقيقة التاريخية تقول عكس ذلك، فإنّ مشكلة اليهود في أوروبا برزت قبل ذلك بعدة قرون، وما كان مشروع (نابليون بونابارت) إلّا جزءًا من التخلّــص من اليهود في أوروبا. وأتــت حركة الإصلاح الدينيّ في أوروبا لإيجادِ البيئةِ الاجتماعيةِ الحاضنة للتخلص منَ اليهود في أوروبا. وبالرجوع إلى العهد القديم وما ورد فيه عن أرض الميعاد، وهي الأرض التي وعد فيها الرّب بني إسرائيل حسب العهد القديم (فلسطين)، حيث نَجَمَ عهد النهضة في أوروبا ترجمة العهد القديم، وبدأت بالظهور مفاهيم وروايات العهد القديم؛ في أنّ اليهود هم شعب الله المختار وفكرة (عودة اليهود إلى الأرض التي وعدهم الله بها)، وهي فلسطين .

ولدى ظهور المسألة الشّرقية والمسألة اليهودية، سارع السيّاسيّون في أوروبا إلى إيجاد حلّ لهما معًا، حيث تبلور رأي سياسيّ في القرن التاسع عشر أدى إلى بلورة حركةٍ سياسيّةٍ عام 1897م أُطلق عليها اسم (الحركة الصّهيونية)، حيث قامت باستغلال كتاب العهد القديم والأوضاع السيّاسيّة في العالم لتحقيق رؤيتها بالعودة إلى أرض الميعاد .

وقد أسهم التنافس الاستعماريّ في الشّرق، وبزرت المسألة الشرقية، إلى توجيه الأنظار إلى فلسطين في نهاية العهد العثمانيّ تحقيقًا لهذه الروايات، وكانت السلطات العثمانية تعامل اليهود من رعاياها بتسامح، كونهم أهل ذِمّة، كانت اليهود أقليةً صغيرةً تعيش في فلسطين قُدرت – حينها- بألف عائلة مع بداية الحكم العثمانيّ، وقد تركّــزت في القدس العاصمة، ومدينة الخليل، ونابلس، وعزة . وفي بداية القرن التاسع عشر بدأ الاهتمام الدّوليّ باليهود من خلال قانون (الرعاية للأجانب) وما حصلت عليه القنصليات من امتيازات لرعاية الدول الكبيرة نتيجة للتنافس الاستعماري.

لا يتسع المجال - ها هنا - للتطرق إلى تاريخ الجماعات اليهودية في فلسطين، ولا في أيّ مكان آخر في العالم، وليس الهدف الجماعات الدينية اليهودية، بل ستركّــز على الرواية الاستعماريةِ والتقائها مع الحركةِ الصّهيونيةِ، واستغلالها للرواياتِ الدينيةِ اليهوديةِ القديمةِ من العهد القديم. وإنما سنتطرق إلى الرواية الصّهيونية من خلال برنامج (بازل)، وما آلت إليه الأمور من محاولات اقناع يهود العالم بالهجرة إلى فلسطين كونها تشكل بداية الخلاص ــ حسب زعمهم ــ وامتلاكهم لأرض كنعان، والعداء المستمرّ لسكان أرض كنعان الأصليين، وعدم المهادنة معهم بدعم من القوى الإمبريالية . وقد شكّلت هذه الرؤية الرواية الرّسمية للصهيونية المتعلّقة بهجرة اليهود إلى أرض الميعاد (فلسطين) والاستيطان الذي بلور الفكر الصّهيونيّ في حركةٍ سياسيةٍ منظّمةٍ، وتحويل الجماعات اليهودية في العالم إلى قومية يهودية، حيث بدأ الصّراع مع سكان أرض كنعان الأصليين وهم الفلسطينيّــون من خلال محاولات الحركة الصهيونية في خلق الروايات والأراجيف التي تربطهم بأرض الميعاد فلسطين، وخلق الحنين إلى أرض الأجداد والآباء من خلال تزوير التاريخ الفلسطيني القديم؛ بغيةَ تجميع اليهود ــفي العالم ــ في فلسطين، حيث لجأت الصهيونية بتزوير الحقائق وتغييبها وعدم الاكتراث بالوجود الفلسطينيّ واستمراريته، فنتج عن هذا مجموعة من الروايات والأراجيف التي استُــغلت لقتل الفلسطينيين وتهجيرهم من أرضهم، وفي أرضهم التي سيطرت عليها الحركة الصهيونية بأشكالٍ وأدواتٍ مختلفةٍ، وهذا ما تمّ بلورته بمفهوم الترانسفير (الترحيل) لدى المؤسّسيــن الأوائل للصهيونية .

ويرى الباحث أنّ لُــبّ الصّــراع هو بين الروايات المفتعلة والمدعومة من الاستعمار والإمبريالية، وبين الحقيقة الفلسطينية التي يحاولون تغييبــها بكلّ الطرق والوسائل، والتي سيتطرق إليها الباحث من خلال طرح الأمور الآتية :

1 - استغلال الحركة الصهيونية للدين اليهودي، والعهد القديم، وتحديدًا في التقاءٍ غيرِ ممنهجٍ مع الرؤية البروتستانتية الدينية .

2 - الادعاء بأنّ فلسطين أرض خاليــةٍ، لذا اختلاقُــــهم شعار " فلسطين أرض بلا شعب لشعبٍ بلا أرض."

3 - الادعاء بأنّ سكان فلسطين عام 1948م غادروها طوعًــا، وبناءً على تعليماتٍ صادرةٍ من اللجنة العربية العليا .

وتهدف الدراسة إلى محاولة الإجابة عن الأسئلة الآتية :

1 - هل كانت فلسطين أرضًا خاوية فعلاً؟

2 - ما مدى استغلال الحركة الصّهيونية للديانة اليهودية من جهة والعهد القديم من جهةٍ أخــرى .

3 - هل سُكّــان فلسطين غادروها طوعًا عام 1948م؟

4- ما هي العلاقة بين يهود اليوم ويهود الماضي في فلسطين؟

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

عاطف عمرو، نعمان. (2024، ماي). الرواية الصّهيونية محاولة يائسة لطمس حقيقة النكبة عام 1948م. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 2، السنة الأولى، ص 60-93.

Abstract:

Some believe that Zionist narratives began to appear with the First Zionist conference held in 1897 AD, or that Zionism accompanied the first narrative towards these fabricated piles. The historical fact says the opposite, The problem of the Jews in Europe appeared several centuries before that, and the project (Napoleon Bonaparte) was only part of getting rid of the Jews in Europe, and the religious reform movement in Europe came to create the social environment incubating for the disposal of the Jews in Europe.

By referring to the Old Testament and what was mentioned in it about the Promised Land, which is the land in which the Lord promised the children of Israel according to the Old Testament (Palestine), where the Renaissance era in Europe caused the translation of the Old Testament and the concepts and narratives of the Old Testament began to appear; In that the Jews are God's chosen people and the idea of the Jews returning to the land that God promised them, which is Palestine.

Upon the emergence of the Eastern question and the Jewish question, politicians in Europe hurried to find a solution for them together, as a political opinion crystallized in the nineteenth century that led to the crystallization of a political movement in 1897 CE called (the Zionist movement), as it exploited the Old Testament book and the political situation in the world To achieve her vision to return to the Promised Land.

The colonial rivalry in the East and the prominence of the eastern question contributed to directing attention to Palestine at the end of the Ottoman era in order to achieve these narratives. Ottoman rule was concentrated in Jerusalem, the capital, Hebron, Nablus, and Gaza.

At the beginning of the nineteenth century, international interest in the Jews began through the law on sponsorship of foreigners and the privileges obtained by consulates for the care of large countries as a result of colonial competition.

There is no room here to address the history of the Jewish groups in Palestine, nor anywhere else in the world, and the goal is not the Jewish religious groups, but rather we will focus on the colonial narrative and its meeting with the Zionist movement, and its exploitation of the ancient Jewish religious narratives from the Old Testament. During the (Basel) program, and the endeavors to persuade the Jews of the world to immigrate to Palestine, as it constitutes a sign of salvation according to their claim, their possession of the land of Canaan, the constant hostility of the indigenous people of Canaan, and the lack of compromise with them with the support of the imperialist powers.

This vision formed the official narrative of Zionism regarding the immigration of Jews to the Promised Land (Palestine) and settlement, which crystallized the Zionist thought in an organized political movement, and the transformation of the Jewish groups in the world into a Jewish nationalism, where the conflict began with the original inhabitants of the land of Canaan, who are the Palestinians, through the attempts of the Zionist movement. In creating narratives and narratives that connect them to the Promised Land of Palestine, and creating nostalgia for the land of the ancestors of the fathers by falsifying the ancient Palestinian history with the aim of bringing together the Jews in the world.

As Zionism led to the falsification of facts and their absence and indifference to the Palestinian presence and its continuity, as this resulted in a group of narratives and shrivels that were exploited to kill and displace Palestinians from their lands and in their lands that were controlled by the Zionist movement in various forms and tools, and this was crystallized in the concept of transfer by the early founders of Zionism.

The researcher believes that the core of the conflict is between the fabricated narratives supported by colonialism and imperialism with the Palestinian reality that they are trying to absent in all ways, which the researcher will address by proposing the following matters:

1- The Zionist movement's exploitation of the Jewish religion, and the Old Testament in particular, in an unprofessional encounter with the religious Protestant vision.

2- The claim that Palestine is a vacant land, hence their fabrication of the slogan "Palestine is a land without a people for the people without a land."

3- The claim that the inhabitants of Palestine in 1948 AD left it voluntarily, based on instructions issued by the Arab Higher Committee.

The study aims to try to answer the following questions:

1- Was Palestine Really Empty Land?

2- To what extent is the Zionist movement exploiting Judaism and the Old Testament in particular?

3- Did the inhabitants of Palestine voluntarily leave it in 1948?

4- What is the relationship between the Jews of today and the Jews of the past in Palestine?

مقدمة

ما زالت الروايات الصّهيونية مصدرًا لتضليل العالم عمّا جرى ويجري في فلسطين، حتّى اللّحظة، وأنّ هذه الروايات تقابلها حقائقُ وأرقامٌ ومجريات أحداث موثقة، مُورِست بحقّ الشّعب الفلسطينيّ جرّاء نكبة عام 1948م. وأنّ قوة هذه الـرّوايات أوجدت لها حيـّزًا عالميًّا لتصديقها، ـ وبغض النظر عن الحقائق والمجريات التي حدثت ـ ليس بكونها مُحكمةً، بل لأنها سبقت غيرها في التهيئة قبل الأحداث، سواء كانت تهيئةَ أعضاء مجتمع المهاجرين اليهود أو الرأي العام الدّوليّ لتُظهر أنّ مجتمع اليهود ضحيّة، ويستحقّون الرّحمةُ والعطفَ.

يُعزى سبب اختيار العنوان وهو "الروايات الصهيونية محاولة يائسة لطمس الحقيقة الفلسطينية لنكبة عام 1948م" في محاولة من الباحث لضحضِ هذهِ الرواياتِ، وإظهارِ الحقائقِ التاريخيةِ التي حدثت على الأرض، من خلال تبيان العلاقة بين الصّهيونية وفلسطين، وإثبات استناد الصهيونية على رواياتٍ وقصصٍ توراتيةٍ، الهدف منها تجميع يهود العالم في فلسطين وإقناعهم بأنهم شعب له قومية، وقد آن الأوان للرجوع إلى أرضه الموعودة، رغم اختلاف الصهيونية مع اليهودية باعتبارها ديانةً، كون الصّ هيونية – حسب علماء التوراة- تدّخلت في الإدارة الإلهيّة لتجميع اليهود في فلسطين (الأرض الموعودة) لتعجيل قدوم المسيح المنتظر، وقد أغفلت الصّهيونية الحقائق العرقيّة، وأن اليهودية ديانة تبشيريّة وليست قوميّة، وأنه لا علاقةَ عرقيـةً بين بني إسرائيل ويهود اليوم.

أمّا فيما يتعلّق بالرّواياتِ الصّهيونيةِ تجاه نكبة عام 1948م فهي كثيرة، ولكن تطرق الباحث إلى نماذجَ محدودةٍ خاصّةٍ بادّعاء الصّهيونية أنّ أرض فلسطين خالية من ساكنيها، وأنها أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، وأنّ الفلسطينيين غادروا أرضهم عام 1948م طوعًا. فإنّ الفكر الصّهيونيّ وتعاونه مع الإمبريالية العالمية ومطالبته بشعارات وردت في التوراة _ رغم أنّ الصهيونية باعتبارها حركةً علمانيّةً لا تؤمن

بالتوراة إلّا أنها استغّلتها_ يدلّ على أنّ هذه الحركة قامت بالتعاون مع الاستعمارِ البريطانيّ، فقد لقد خطّطت ونفّذت جريمتها بحقّ أرض فلسطين وشعبها مع سَبْق الإصرار لتحقيق أهدافٍ سياسيّةٍ استعماريّةٍ، لذا فإنّ الحركةَ الصهيونيةَ والحكومةُ البريطانيةَ تتحمّلان معًا المسؤوليةَ الأخلاقيةَ والسياسيّةَ والقانونيةَ والاقتصادية لمَا حلّ بالشعب الفلسطينيّ من تهجيرٍ وتدميرٍ ومجازرَ؛ بغيةَ إحلال المهاجرين اليهود مكانه، وإقامة دولتهم على انقاض فلسطين أرضًا وشعبًا.

وقد واجه الباحث العديد من الإشكالات التي تمثّلت بنشر الروايات الصّهيونية، وما كتبه المؤرّخون الإسرائيليون الجُدد الذين حاولوا التنصّل من تحمُّل مسؤولية ما جرى، لكنّ الاطّلاعَ على الوثائق والأبحاث العملية وتمحيصها سهّل المَهمّة.

الصّهيونية وفلسطين

تُعرَّف الصّهيونية بأنها الحركة السّياسيّةُ التي تهدف إلى عودة اليهود إلى وطن أجدادهم" "إيريتس يسرائيل" حسبما ورد في الوعد الإلهيّ والمسحانية لليهود.(المسيري، عبد الوهّاب،1999 :13) ولدى المتمعّن في هذا التعريف يتضحُ أنّه فضفاض يشتمل على آمالٍ مسحانيةٍ ومخطّطٍ استعماريّ؛ وفي الواقع فإنّه اشتمل على الاثنين معًا، وهذا يفسّرُ تعدّد أنواع الصّهيونية؛ فهناك الصّهيونية العُماليّة، والصّهيونيّة الدينيّة، وصُهيونيّة صُهيون، كما أن هناك مَن يعارضون طرح الصّهيونية تمامًا.

ومن جهة أخرى هناك من يعتقد أنّ الصّهيونية باعتبارها حركةً سياسيّةً نشأت وارتبطت بالاستعمار، مستغلّةً الدينَ اليهوديّ لتحقيق أهدافٍ استعماريةٍ.

والواضح أنّ كلمة "صُهيون" في التراث الدينيّ اليهوديّ تشير إلى (جبل صُهيون) في القدس، وإلى الأرض المقدسة بشكلٍ عام؛ وبما أنّ اليهود يعتبرون أنفسهم نبتًا صُهيونيًا فهي - على الأرجح - تدلّ على جماعةٍ دينيةٍ، والحقيقة أنّ العودة إلى

صُهيون هي فكرة محورية في النسق الدينيّ اليهوديّ. (المسيري، عبد الوهّاب،1999: 14) وأصحاب هذه العقيدة يُؤمنون بأنّ المسيح المُخلِّص سيأتي في آخر الأيام ليصعد وشعبه إلى صهيون، ويحكم العالم، ليسود الرخاء والعدل، ويوجد لكلمة (صُهيون) إيماءاتٌ سفريةٌ ودينيةٌ في الوجدان الدينيّ اليهوديّ، جاء ذلك في المزمار رقم "1/137" على لسان جماعة إسرائيل بعد تهجيرهم إلى بابل (المسيري، عبد الوهّاب، 1999: 14)

إنّ الإشارات التي وردت في الكتاب المقدس للارتباط بصُهيون، والذي يُطلق عليه (حُبّ صُهيون)، حيث يُعبّر اليهود عن هذا الحبّ والارتباط من خلال الصّلاةِ والطّقوسِ الدينيةِ المختلفة، وفي بعض الأحيان يكون بالذهاب إلى فلسطين والعيش فيها بغية التّعبُّد والتّقرُّب إلى الله، لأنّ مجيءَ اليهود واستقرارهم تلبيةً للشّعائر الدينية؛ كان بهدف التعبُّد، كونهم لم يمارسوا أيّ عمل خلال وجودهم فيها، بل إنهم عاشوا على الصّدقات التي كان يرسلها أعضاء الجماعات الدينية في العالم، ويُعزى ذلك إلى استقرار اليهود في فلسطين كونها آمنةً، معتبرينَ الإقامة فيها من سلوكيات أهل التقوى والوَرع، ولا علاقة لهذا بالمشروع الاستعماريّ أو الاستيطاني أو الصهيونية الدينية التي ظهرت متأخّرةً. (المسيري، عبد الوهّاب،1999 :14)

أمّا الصّهيونية التي تؤمن بمجموعة من المعتقدات ذات الدلالة القومية أو تُطلق على نفسها بأنها " شعبٌ قوميّ مستقلٌ" ينبغي لها إعادة توطينه باعتباره كيانًا سياسيًّا مستقلًّا في فسطين ليؤسّسَ دولةً قوميّةً خاصّةً باليهود وحدهم. (الشريف، ريجينا،1985 :10) فهي أقرب ما تكون إلى المسيحية والإصلاح الدينيّ في أوروبا، مرتبطةً بالاستعمار الغربيّ، ومتأثرةً بما حصل في أوروبا.

بدأت هذه الأفكار بالظّهور في أوروبا المسيحية في القرن السابع عشر قبل غزو نابليون بونابرت، وأول ظهور لها كان في بريطانيا.

أمّا ما قبل القرن السابع عشر، فقد كانت صورة فلسطين في أذهان المسيحيين على أنها أرضهم المقدسة التي دافع عنها الكثيرون من الإنجليز إبانَ الحملات الصّليبيةِ ضدّ المسلمين الكفَرة. (الشريف، ريجينا،1985 :54)

وبعد أن عملَ المسلمون على تجريد فلسطين من ولاتها المسيحية _ حسب ادّعائهم_ فقد أصبحت تُعدّ وطنًا لليهود، هذا حسب ما جاء في العهد القديم؛ لأنّ عودة اليهود إليها تُشكّلُ المقدمة الحتميةَ لعودة المسيح المُنتَظر تبعاً للنبوءات الواردة في العهد القديم كذلك.

بدأت تظهر جماعات مسيحية تُدافع عن هذا المعتقد، بدليل قيام عدد من روّاده عام 1649م _ومن أشهرهم (جوانا وأيبنزر وكارترايت الانجليزيون)، من الجماعات البيوريتانية المقيمة في أمستردام - برفع استرحام إلى الحكومةِ الإنجليزيةِ، وكان هذا بمثابة الفكرة الأولى للعودة، وهذا نصّه: **"ليكن شعب انجلترا وسكان الأراضي المنخفضة أول مَن يحمل أبناء وبنات إسرائيل على سفنِهم إلى الأرض التي وعد بها أجدادهم إبراهيم وإسحق ويعقوب لتكونَ إرثَهم الأبديّ"**. (الشريف، ريجينا،1985 :55)

وإنّ هذا التداول لهذا المفهوم نشأ في القرن السادس عشر حتى منتصف القرن السابع عشر وقد ظهر قبل بروز المفهوم الاستيطانيّ الاستعماريّ.

التقى ظهور هذا المفهوم مع ظهورِ الهجمةِ الإمبرياليةِ الاستعماريّة الغربيّة على الشرق بشكل عام والشّرق الإسلاميّ بشكلٍ خاصّ، وقد رافقه بروز فكر مُعادٍ لليهود في الغرب بسبب ظهور العلمانية المركزية التي همّشت دور اليهود باعتبارهم جماعةً وظيفيّةً، خاصّةً بعد ظهور البنوك، لهذا بدأ مفهوم (الصّهيونيّة) في التبلور والتخلص من الأبعادِ الدينية ليدخل عالم السّياسة والمنفعة المادية، ممّا أخرج الجماعاتِ اليهوديةَ من وظيفتها وعلمها الفعليّ في أوروبا.

ووقتذاك ظهرت المصالح بدل العقائد، وتجلّت المتناقضات أيضًا، فمثلاً نجد أنّ نابليون بونابرت أول غازٍ غربيّ للعالم الإسلاميّ في العصر الحديث، وهو من أهمّ المعادين لليهود، ويرغب في التخلص منهم في فرنسا، إلّا أنه صاحب مشروع صُهيونيّ حقيقيّ، فهو أول مَنْ دعا الصهاينة إلى الاستعمار في بلاد أجدادهم. (روخان إيوجين، وشليم آفي،2001: 14)

وكان أول ظهور لمفهوم (الصّهيونية) في الخطاب السياسي الغربي عام 1841م مع نجاح أوروبا في بلورة مشروعها في الشّرق الإسلاميّ، وقد باشر بتحقيقه بالفعل من خلال القضاء على مشروع محمّد علي باشا في تحديث مصر ووحدتها مع الشام، وإضعاف الدولة العثمانية. (روخان إيوجين، وشلايم آفي،2001 :14)

وبالنظر إلى أوروبا، فإننا نجد أن الأوساطَ البروتستانتيةَ في انجلترا رأت أنّ اليهود ليسُوا جزءاً عضويًا من التشكيل الحضاريّ الغربيّ، لهم ما للمواطنين وعليهم ما عليهم "الحقوق والواجبات" وإنّ هذه النظرة إلى اليهود، التي انتشرت في أوروبا بعد حركة الإصلاح الدينيّ، أصبح يُطلق عليها "النزعة الصّهيونية المسيحية". (المسيري، عبد الوهّاب،1999 :15)

ومع تزايد تيارات العلمانية في الغرب نتجت نزعاتٌ ومفاهيمُ جديدةٌ في أوساط المفكّرين والفلاسفة والسياسيين والأدباء تنادي بإعادة توطين اليهود في فلسطين، باعتبارهم شعبًا عضويًا منبوذًا، تربطه علاقة عضوية بفلسطين لأسبابٍ تاريخية، وهذا ما يُطلق عليه"صهيونية غير اليهود" أي "صّهيونية الأغيّار". (المسيري، عبد الوهّاب،1999 :15)

أمّا الصّهيونية – باعتبارها مصطلحًا سياسيًا - فقد برز على يد المفكر اليهودي النمساويّ ناتان بيرنباوم عام 1890م في مقال نشر في مجلّة " الانعتاق الذاتيّ"، وتمّ شرح معناه في خطاب عام 1891م حيث قال فيه: "إنّ الصّهيونية هي إقامة منظّمة تضم الحزب القوميّ السّياسيّ إضافةً إلى الحزب ذي التوجّه العمليّ"

"أحبّـاء صُهيون" في المؤتمر الصّهيونيّ الأول الذي عُـقد في مدينة بازل السّـويسرية، وصرّحَ ناتان بيرنباوم بأنّ الصّهيونية ترى أنّ القوميّة والشّـعب شيء واحد. (المسيري، عبد الوهّاب،1999 :15)

وبهذا يكون فحوى الخطاب هو؛ إعادة تعريف الشّـعب اليهوديّ، فبعد أن كانت جماعةً دينيةً بمدلولاتها الدينية الإثنية، بدأ وكأنه جماعة عرقية بالمعنى السّائد في حينه، وبهذا يكون قد استبعد الجانب الدينيّ لصالح الشّـعب والقوميّـة اليهودية التي ركّـزت على السّـمات العرقية أولاً.

ويـكـــون ناتان بيرنباوم قد تخلّص منَ المعتقداتِ الغيبيةِ المرتبطةِ بالدين، وركّـز على العمل السّـياسيّ الذي يُحقّـق للصّـهيونية أهدافها، فبعد انعقاد المؤتمر وَضَحَ أنّ الصّـهيونيّ هو مَـن يؤمن ببرنامج (بـال) ممهّـــدًا الطريق للتزاوج مع الإمبريالية في أوروبا، والتي تبلور موقفها تجاه مسألتين اثنتين، الأولى: المسألة اليهودية في أوروبا الشّـرقية والغربية، أمّـا الثانية فالمسألة الشّـرقية.(المسيري، عبد الوهّاب، 1999 :14)

بزغ في أوروبا تفكير يحمل المسألتين من خلال دمجهما مع بعضهما البعض، وجعلهما آنًا واحـدًا؛ إذ تستطيع أوروبا التخلّـص من اليهود في أوروبا الغربية، ومنع اليهود من أوروبا الشّـرقية بالهجرة إليها، واستخدام الصّـهيونية لتحقيق مصالحها في الشّرق من خلالِ الوظيفةِ المسندةِ إليها بضمان مصالح الإمبريالية في الشَرق الإسلاميّ، ومنع توحّـده في دولـةٍ واحـدةٍ.

وممّـا سبق يتضح أنّ القادة السّـياسّـيين للحركة الصّـهيونية وظّـفوا الرواياتِ السّـابقة، في القرن التاسع عشر الميلاديّ، وبلورتها في حركةٍ سياسيّةٍ هي "الحركة الصّهيونية" عام 1897م، معتمـدةً على ترجمة العهد القديم من الكتاب المقدس بداية إحياء وتداول هذه الروايات وتداولها بين شعوب أوروبا، وأهمّها فكرة أنّ اليهود

هم شعب الله المختار، وفكرة عودة اليهود إلى الأرض التي وعدهم الله بها وهي فلسطين. (فارس، ضرغام غانم، 2020: 108)

1- الحركة الصّهيونية والديانة اليهوديّة

إنّ الحديث عن العلاقة بين الصّهيونية والديانة اليهودية يجعلنا نتعمّقُ أكثر لكشف اللّثام عن العلاقة بين السّياسة والدين ومركّبات كلٍّ منها، خاصة وأنّ الصّهيونية باعتبارها حركةً سياسيّةً حديثةَ العهد، فقد أخذت بالظّهور والعمل في القرن التاسع عشر، بينما الديانةُ اليهوديةُ سبقت ذلك بكثير، خاصّة وأنّ الصّهيونية حرّفت المفاهيمَ الدينيةَ، مدّعيةً أنها حركة قوميّة، بينما الديانة حركة تبشير، ولكن من الواضح أنّ الحركة الصهيونية استغلّت الديانةَ اليهوديةَ، كما استغلّت العديد منَ العوامل لتحقيق أهدافها، ولفهم الواقع لا بدّ من التطرق إلى الأصل العِرقيّ الذي حاولت الحركة الصّهيونية إبرازه منذ انطلاقتها الأولى، ومن خلال الرجوع إلى الدلائل الأنثروبولوجية، فإننا نرى أنّ الجماعاتِ اليهوديةَ الدينيةَ شديدة التنوع.(بودميع، الحسين، 2016 :8)

ويشكّل هذا دليلاً على أنّ شعوبًا أخرى غير بني إسرائيل اعتنقتِ الديانةَ اليهوديةَ، وفي موقعٍ آخر ذكر الدكتور رافائيل باتال المختصّ في علم الأجناس البشرية قائلًا: "ليس هناك جنس يهوديّ، حيث تدلّ قياسات الأجسام البشرية التي أُجرِيت على مجموعةٍ من اليهود بأنهم يختلفون عن بعضهم اختلافًا بينًا في الخصائص الجسدية كلّها.(بودميع، الحسين، 2016 :11)

ويؤكد ذلك كلٌّ من الدكتور جوان كوماسن بقوله: "إن نقاوة السّلالة اليهودية ما هي إلّا أوهام" ويؤكّد الحقيقةَ نفسَها الدكتور جمس باركس في قوله: "ولا يمكنُ القول: إنّ تاريخ اليهود هو تاريخ عنصر من العناصر البشرية؛ وأنّ اليهود لا يمكن أن يكونوا من أصلٍ نقيّ عِرقيًا منذ بَدْءِ تاريخهم".

أمّا أستاذ علم الأجناس البشرية في جامعة جنيف أوجين بيتار يقرر فيقول: "إنّ اليهود عبارة عن طائفةٍ دينيةٍ اجتماعيّةٍ، انضمّ إليهم في جميع العصور أشخاص من أجناسٍ شتّى". (بودميع، الحسين، 2016 :11)

وحسب رأي الإنثروبولوجيا وعلم الأجناس البشرية فإنّه لا نقاءَ عِرقيًّا لليهود، وإنما اليهودية طائفة دينيّة تبشيريّة انضمّ إليها أجناس وأعراق مختلفة على مرّ العصور.

ومن حيثُ الدلالاتُ التاريخيّةُ، فقد ذكر الدكتور جمال حمدان في كتابه "اليهود انثربولوجيّا" أنّ اليهود متنوّعون عِرقيًا، وأنّ الصّفات الجنسيةَ التي تستند عليها الوراثة ولا تتأثر بالبيئة لتكونَ مؤشّرًا وثيقًا على الأصول الأولى والمرتبطة بالجينات، وحظيت بإجماع الانثروبولوجيين تفيد بأنّ "يهود عصر التوراة في فلسطين هم مجموعة سامية من سلالة البحر المتوسط، بصفاتها المعروفة إلى اليوم؛ من سمرةٍ في الشَّعر وتوسّطٍ في القامة، وطولٍ إلى توسّطٍ في الرأس. (بودميع، الحسين، 2016 :12)

وذكر المؤرّخُ والعالِمُ البريطانيّ اليهوديّ آرثر كيستلر دلالاتٍ على جنس اليهود في العصور القديمة للتبشير بديانتهم مثل يهود الفلاشا في الحبشة (إثيوبيا) ذوي البشرة السّوداء، ويهود كاي فنج في الصّين، واليهود اليمنيّين في اليمن (بودميع، الحسين، 2016 :6) وقد بلغ التبشير بالديانة اليهودية ذروته في الامبراطورية الرّومانية.

وذكرت دائرةُ المعارفِ البريطانيةُ أنّ اليهود نشطوا بالتبشير إلى ديانتهم بين مختلف شعوب الأرض عندما رأَوْا أنّ الوثنيةَ قويّةُ النفوذ في العالم، وهذا يتوافق مع ما ذكره الكُتّاب القدماءُ اليونانُ والرّومانُ، وخاصّةً أنّ اليهودية انتشرت في أواسط قارة آسيا وغربها عن طريق التبشير.

وفيما يتعلّق بالدلالاتِ الدينيـةِ، فهنالك دلالاتٌ بنصوصِ الكتابِ "المقدسِ" بعهديْـهِ، وفي القـرآنِ الكريـمِ تدلّ بوضوح على أنّ اليهودية دين، وأنّ رسالة موسى _عليه السّـلام_ لم تكن خاصّة ببني إسرائيل، وأنهم مارسوا التبشير بالديانةِ اليهوديـةِ، ولا نقاءَ عِـرقيًّـا لدى أتْباع الديانةِ اليهوديةِ. (بودميع، الحسين، 2016 :5)

وبالإمكان تأكيد ذلك من خلال رأي بعض الحاخامات اليهود، مثل أشعياهو الثاني، وحسب ما ورد في سِـفر روث، وسِفر يونان، وسِـفر يهوديت الخارجيّ بأنّ هناك دعواتٍ مباشرةً وغيرَ مباشرةٍ تعسى إلى اجتذاب الأغيار إلى اليهودية حتى في ظل وجود أصوات، مثل الحاخاميين التلموديينَ متل الحاخام "حليفـو" تحـذّر من خطر التهويد على جماعة بني إسرائيل. (بودميع، الحسين، 2016 :5)

وبالإمكان النظر إلى هذه التحذيرات من جهة أخرى؛ على أنها دلالة على وجود تبشيرٍ وتهوّدٍ لدى الأغيار، وإلّا لِـماذا هذهِ التحذيرات؟

ويؤكّـد ذلك وجود قانون التهويد _إلى الآن_ ضمن أنظمة الحاخاميّين العليا في إسرائيل.

وأيًّـا كان الأمر، فـالثّـابت أنّ الصّهيونية سخّـرت الديانةَ اليهوديةَ، ورجّـحت وجهة نظر المتشـدّدين والمتزمّتين أو الملحدين للاستفادة من الديانةَ اليهوديةَ، هذه الاستفادة هي - بالأساس - شكّـلت الأساطيرَ المُؤسّـسة للسّـياسة الإسرائيليةِ، ويُـعـدّ هذا التسخير انحطاطًـا لليهودية بسبب الهرطقات التي أبرزتها الصهيونية(غارودي، روجيه، 1998: 29) ومن ناحية أخرى وافق البروفسور شاحاك الأستاذ في الجامعة العبرية في القدس في كتابه "عنصرية دولة إسرائيل" "على أنّ الحكوماتِ الصّـهيونية المتتاليةَ تستخدم الدين اليهوديّ لتحقيق أهدافٍ سياسيّـةٍ". (غارودي، روجيه، 1998: 30) بـل تجاوزت الصّـهيونية الاستغلال لتصلَ إلى المعاداة من خلال اتهام اليهوديةِ بالشذوذ والتقصير من خلال عدم تحقيقها للسّـيادة؛ وليس بالإمكان إزالة هذا التقصير والشذوذ عن طريق إصلاح اليهودية، أو تحويلها إلى أيّ قطاع آخر

كالاقتصاد مثلاً، أو عن طريق الدمج والتطبيع في المجتمعات التي يعيشون فيها. (المسيري، عبد الوهّاب،2001: 13)

وإنّ وجود اليهود في المَنفى والشّتات هي حالة من الشّذوذ أثرت على الشّخصيّة اليهودية، أمّا الشذوذ الاقتصاديّ فظهرَ من خلال اشتغال اليهود بأعمالٍ حرَّةٍ، وبالمضارباتِ، والأعمال الهامشيّةِ غير المنتجة مثل: التهريب، والاتجّار في العقارات.

بينما حدث الشّذوذ السّياسيّ نتيجة عدم مشاركة اليهود في السّلطة، وهذا الذي أحدث لدى اليهود ازدواجيّةً في الولاء. (المسيري، عبد الوهّاب،2001: 13)

وإنّ الحديث عن "هامشية اليهود" وعدم مشاركتهم في السّلطة، فإن ذلك فيه نوع من التعميم؛ فالمقصود هامشيّة يهود شرق أوروبا في القرن التاسع عشر تحديدًا؛ لأنّ الجماعاتِ اليهوديةَ في غرب أوروبا حظيت بدورٍ حيويّ ووظيفةٍ أساسيّةٍ في المجتمع، رَغم أنها لم تكن جزءًا من العمليةِ الإنتاجيّةِ. (المسيري، عبد الوهّاب، 1999: 11)

وفي إشارة إلى الجماعات اليهوديةِ في العالم الإسلاميّ، فكونهم تفاعلوا في محيطهم الحضاريّ وانخرطوا في سائر الوظائف فلم يكن هامشيًّا، وكذلك الأمر في الولاياتِ المتّحدة الأمريكيةِ وفرنسا وبريطانيا، لأنّ اليهود حَظُوا بالاندماج والمشاركة في المجتمع، وأنّ مصطلح (الهامشيّة) ينطبق على وجود الدولةِ الصّهيونيةِ المموّلةِ في الخارج، والتي أُسِست على أرض فلسطين، وحوّلت سكّانها إلى عَمالةٍ رخيصةٍ، وقمعتهم، وأجهضت تطلّعاتهم الوطنية.(المسيري، عبد الوهّاب، 1999: 11)

أمّا القصد من الاستخدام، فيظهر من خلال هدف هيرتسل القوميّ في أثناء لقائه مع الحاخام الأكبر زادوك كاهن بتاريخ 1896/11/16م كمحاولة لاستقطابه عندما طرح عليه "أنّ على الإنسان اليهوديّ الاختيار بين أرض صُهيون وفرنسا"،

وبذلك يريد هيرتسل التركيز على القدسية للمكان، واستثناء الإيمان اليهوديّ باعتباره عنصرًا غريبًا عن مشروع الصّهيونية؛ لأن التركيز على القدسيّة يأتي بالعنصر الأهمّ، وهو جمع اليهود في أمة. (غارودي، روجيه: 1998: 25)

إنّ الصّهيونية باعتبارها عقيدةً سياسيّةً ولدت مع هيرتسل والآباء المُؤسّسين تحتاج إلى تبرير وجودها الأساسيّ، وللحصول على هذا التبرير رجعت إلى الديانة اليهوديةِ لاستخراج مصطلحاتٍ توراتيةٍ مثل (شَعب الله المختار) و(الأرض الموعودة)، لأنها تعلم أنه ليس بإمكانها التطور بدون دعمِ العناصرِ المتدينةِ والحاخاميّةِ الكبرى المتطرفةِ لإقناعهم أنّ أرضًا محتلّةً يمكن أن تكون أرضًا موعودةً.(غارودي، روجيه،1998: 19) أي أنهم يطالبون بملكيةِ أرضٍ أعطاهم إياها إلهٌ لا يؤمنون به. وهذا هو التناقض الرئيس بين الحركة السياسيّة العلمانية وبين المتدينين.

ولا يُنكرُ هيرتسل وأركان في دولة الاحتلال الإسرائيليّ عدم إيمانهم، ولكنّ تمسّكهم بما جاء في سِفر التكوين يأتي في إطار تحقيق أهدافهم السّياسيّة، والبقاء في منظومةِ القيادةِ السّياسيّةِ، وأنّ الرؤساء المتنفذين في الصّهيونية وفي أمريكا تمسّكُوا بحدود الأرض حسب الكتاب المقدس: "من الفراتِ إلى النيلِ أرضُكِ يا إسرائيل". (غارودي، روجيه،1998: 15)

حينئذ بدأت عملية التعبئةِ الدينيةِ المدنيةِ والعسكريةِ للسّيطرة على الإمبراطوريةِ التي حدّدها سِفر التكوين، وأنّ القتال من أجلها ما هو إلّا اقتداء بيوشع بن نون. (غارودي، روجيه،1998: 16)

وبذلك تكون الصّهيونية قد تبنّت الآراءَ المسيحانيةَ، وأحيت الرّوايات التوراتيةَ عن التكوين واللجوء الجماعيّ، وعرضت جذور التقاليد التي تربط القبائلَ العبريةَ والإسرائيليةَ بأرض كنعان (فلسطين) رغم أنّ الجهودَ البحثية كافةً، والمتلاحقةَ لأجيالٍ من الباحثين لم تستطع كشف أي دلائلَ تاريخيةٍ أو أثريةٍ تدلّ

على وجود الأحداث التي ذُكرت في التوراة، ولا للشخوص أو النصوص(مصالحة، نور الدين، 2003: 17) وللخروج من هذا الجدل نتركُ ذلك الأمر إلى علماءِ الآثارِ وعلماءِ الفقهِ للتحقّق من مدى صحّة ما جاء في التوراة ومطابقته مع علم الآثار، خاصّة وأنّ الاكتشافاتِ الأثريةَ تتناقض بكلّ وضوحٍ مع الصّورة في التوراة.

وعند الحديث عن المملكة الموحدة تحت سلطة داود وسليمان ووصفها في الكتاب المقدس بأنها دولة إقليميّة، فهي لا تتعدّى كونها مملكةً قبليةً صغيرةً. وأنّ الصّورة التي تظهر في العهد القديم يحقّ لليهود في التوسّع عَبر "أرض إسرائيل" والشّرعيّة الأخلاقية المزعومة في بناء دولة إسرائيل وسياستها تجاه المواطنية الفلسطينية عام 1948م ما تزال منتشرة في أوساط اليهود والصّهاينة، وضمن الثيولوجيا المسيحية السّائدة، وأنّ الرابط بين الحرب عام 1948م والعهد القديم ينعكس في الدعاية التي قدَّمها بن غوريون أول رئيس لدولة الاحتلال بعد الحرب، حيث قال: "إنّ التوراة هي أصل التملك المقدس لليهود في فلسطين"(غارودي، روجيه،1998: 17) في محاولة منه لتبرير العدوان وعدم الظّهور بالارتباطِ بالمخططاتِ الاستعماريةِ الغربيةِ بإضفاء الشّرعيّة الدينيةِ على السّلوكِ السّياسيّ والعسكريّ العدوانيّ، مُستغلاً بذلك نصوص التوراة لتبرير مواقفه السّياسيّة.

أما بخصوص ترويج الصهيونية مقولَة أنّ فلسطين أرض قاحلة " صحراء" ووصفها في القرن السّادس عشر بأنها أرض يهودية في الغالب، وتشكّل الشّريانَ التجاريَّ للمنطقة حسب ادعاءِ مُنظّريها، ولاحقاً وزارة الخارجية لدولة الاحتلال.

فإنّ مؤلّفي هذه الرواية لم يكلفوا أنفسهم بالاطّلاع على ما كتبه نُظراؤهم من المؤرّخين الجُدد، ولم يعتمدوا على الدراساتِ البحثيةِ الإسرائيليةِ ولا على الحفرياتِ الأثريةِ؛ لأنهم لو فعلوا ذلك لرفضوا هذه الرواية ولم يقبلوها.

ولكن هذا يُظهر بأنهم غير مختصّين، ولهؤلاء نقول: "أنّ عليكم الرجوعَ إلى باحثين إسرائيليين مختصّين، وليس فلسطينيين، مثل ديفيد غروسمان الباحث في

علم السّكان وامتون كوهين و يهوشع بن أريه الذين أظهرت أبحاثهم أنّ فلسطين على مدى قرون لم تكن صحراء، بل كانت مجتمعًا عربيًا مزدهـرًا وشكّل المسلمون الغالبية العظمى فيه وغلب عليه الطابع الريفيّ مع وجود مراكزَ حضريةٍ حيويةٍ، وأنّ المجتمع الفلسطينيّ تحت الإدارةِ العثمانيةِ كان شأنها شأن المجتمعاتِ العربيةِ المجاورة، بل أكثر انفتاحًا، وأنّ تطور فلسطين باعتبارها دولةً بدأ قبل ظهور الصّهيونية، وظهر فيها حُكّام محلّيون مثل ظاهر العمر عام 1690م، وأحمد باشا الجزار عكا، وتمّ تحديث مُدنها مثل حيفا، وشفا عمرو، وطبريا، وعكا من خلال علاقات التجارة مع أوروبا.(بابيه، إيلان، 2018: 18)

ولم يقتصر استغلال الصّهيونيةِ للديانةِ اليهوديةِ، بل تجاوز ذلك لاستغلال التنافس الاستعماري بين الدول الغربية على منطقة الشرق الإسلامي من خلال المسألة الشّرقية؛ لذا نجد أنّ الصّهيونية تُعطي وعودًا متضاربةً للدول الاستعمارية؛ حيث قطعت وعدًا للإنجليز بحماية طريق الهند (بِـدْءًا من أوغندا أو فلسطين، وكلتاهما تقع على تقاطع القارات الثلاث) من مطامع ألمانيا في الشّرق، ووعدت إمبراطور ألمانيا غيـــلـوم الثاني بحماية مشروع "برلين، بيزنطية بغداد" من الإنجليز، لِما كان من تنافس بين الطرفين على اقتسام تركة الرجل المريض. وعندما قابل هيرتسل أمبراطور ألمانيا بتاريخ (1898/10/19) عرض عليه قضّية الصّهيونية وبناء شراكةٍ ذاتِ شرعيّةٍ من خلالِ الحمايةِ الألمانيةِ لها لكي تستطيع الصّهيونية الإسهام في التخلّص من الاشتراكية، إلّا أنّ تخوّف إمبراطور ألمانيا من عدم مغادرة اليهود لألمانيا؛ إذ شعروا أنهم في حمايتها. وذكر هيرتسل بأن يهود ألمانيا سيرحّبون بالصّهيونية التي ستعمل جاهدةً على تدفق يهود أوروبا الشّرقية إليها. (غارودي، روجيه،1998: 25)

وفي هذا إشارة واضحة إلى أنّ الصّهيونية استغلّت كلّ ما هو ممكن من تحولاتٍ سياسيّةٍ لتحقيق أهدافها بالحصول على دعمٍ دوليٍ ضمن ما أُطلق عليه

" البراءة الدولية" لمعالجة مشكلة يهود أوروبا بشكل عام، ويهود أوروبا الشرقية بشكل خاصّ.

وبالنظر إلى ما سبق يتضح أنّ الأسطورة الصّهيونيةَ التأسيسيّة، عبّرت عن نفسها تحت كلّ السياساتِ والثقافاتِ الإسرائيليةِ حتّى يومنا هذا من خلال ثلاث مقولات تمّ اختراعها، وهي:

- نفي المَنْــفى.
- العودة إلى أرض إسرائيل.
- العودة إلى التاريخ. (بيتربيرغ، غابرييل، 2009: 120)

وهذه المقولات الثلاث متشابكة، لا انفصال فيها داخل الروايات الصّهيونية الرئيسة التي تشرح كيف وصلت الصّهيونية الى حيث وصلت، وأين ستذهب بعدها.

وبالنسبة إلى العودة إلى أرض إسرائيل، فحسب الرواية التوراتية فإنّ المشكلة للأسطورة التأسيسيّة تشكلُ استرجاع الشعب إلى بيته وعـدًا لإطلاق عملية تطبيع الوجود اليهوديّ بعد تحديد المكان المخصص لإعادة تحقيق "الخروج". (بيتربيرغ، غابرييل، 2009: 120)

ويتضح ممّا سبق أنّ هناك تطابقًا بين القصصِ التوراتية؛ وتلك التي نقلتها الثقافةُ المسيحيةُ البروتستانتيةُ في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر؛ حيث عرّفت الأيدولوجية الصّهيونية بأنّ أرض فلسطين كانت فارغةً، وهذا يتعارض مع الحقائقِ التاريخيةِ والاكتشافاتِ الأثريةِ التي تشير إلى تواصلٍ اجتماعيّ فلسطينيٍّ في أرض فلسطين تحت الادارة العثمانية وما سبقها من عصور، والتي لم تجد أي خارطةٍ تاريخيةٍ أو دينيةٍ دقيقةٍ لحدود أرض إسرائيل التوراتية، كما لا يوجد تعريف دينيّ دقيق لهذه الحدود، ونجد أن استخدام هذ المصطلح ومصطلحات أخرى ذات دلالات دينية لاستثمارها كي تغني عن الدلالاتِ التاريخيةِ والأثريةِ والجيوبوليتيكةِ بعيدةِ الأثرِ، في كلّ البدَع الصّهيونية، بهدف استحضار الماضي على أيدي مؤلفين صهاينة

عكس أيدولوجيةٍ دينيةٍ سياسيةٍ لتأسيسِ الادعاءاتِ التاريخيةِ للصّهيونيةِ المعاصرة في أرض إسرائيل.(مصالحة، نور الدين، 2003: 18)

وحسب رأي يهود ماجنس رئيس الجامعة العبرية في القدس عام 1926م عندما وصف توافق الصّوت اليهوديّ الجديد للخضوع إلى لغة القوة الجسدية السائدة في العالم بعد أن حاولت ثورة إسرائيل الجديدة اخضاع يهود الشّرق وشعب إسرائيل إلى جنون القوة، وحسب وصفه لا يستطيع الاتفاق مع مجتمع أصبحت فيه القومية عقيدة مفروضة، ففي ظلّ التصوّر العام لتاريخ المصير اليهودي، ووضع اليهود وأمنهم في أنحاء العالم، فلا تستطيع الالتزام بالتوجّه السّياسيّ الذي يسيطر على البرنامج الصّهيونيّ الحالي، ولا ندعمه.

وأنّ الصّهيونية تميل إلى خَـلْـقِ الإرباك عند رفاقنا في مواقعهم ومراكزهم في المجتمع، وتحويل اهتمامهم بعيدًا عن دورهم التاريخيّ: العيش ضمن جماعاتٍ دينيةٍ حيثما كانوا. (غارودي، روجيه،1998: 18)

ويعتبر هذا أحد الأصوات العديدة المؤمنة التي تعارض البرنامج السياسيّ للصّهيونية، وهذا يتفق مع آراء العديد من اليهود الذين يَرَوْنَ أنّ أرض صُهيون ليست مقدسةً، إلّا إذا سيطرت عليها شريعة الرّبّ، وأنّ أيّ شريعةٍ ربانيةِ تُـطبق في القدس هي مقدسة، فالأرض وَحدها لا ترتبط بالحفاظ والإخلاص للعهد، بل على الشّعب الذي سكن أرض صُهيون مجدّدًا أن يلتزم بمتطلباتِ العدالةِ والاستقامةِ والاخلاصِ لعهد الرّبّ.

الخلاصة

انتهزت الحركـةُ الصهيونيةُ التنافسَ الاستعماريّ للحصول على دعمٍ دوليٍّ وحلّ مشكلة يهود أوروبا بشكل عام ويهود أروبا الشرقية بشكل خاص.

واستغلّت أيضًا الديانة اليهودية لتحديد أرض الآباء حسب الوعد التوراتيّ، وتجميع يهود العالم وتهجيرهم إلى الأرض المقدسة من خلال الاستعانة بمجموعة من الرموزِ التوراتيةِ لإقناع يهود العالم بالهجرة إلى فلسطين لإعادة سلطة سياسيّةٍ عليها، مرتبطةٍ بالأهدافِ الاستعماريةِ في أوروبا لتكون جزءًا وامتـدادًا للإمبرياليةِ العالميّـةِ للسّـيطرةِ على الشّرق من خلال استعمار فلسطين باسم الدين؛ وبذلك تكون قد أوجدت لنفسها وظيفة تنسجم مع الاستعمارِ الأوروبيّ.

إلّا أنّ هذهِ الوحداتِ ستصل إلى قدرتها التعبيريةِ الذاتيةِ على شكل دولٍ وأمـمٍ ذاتِ سيادة، فالأمة هي الفاعل المستقل ذاتيًا وتاريخيًا والذي لا يعلو عليه شيء، والوصول إلى الدولة هي غاية مسيرتها نحو تحقيق الذات.(بيتربيرغ، غابرييل 2009: 121) ويبدو أنّ هذه الأفكار أثرت بشكلٍ قويّ في الحركة الصّهيونية، وأصبحت هي المحرك الرئيس نحو التحول إلى القوميّـةِ.

ويظهر أنّ هذه الفكرة مستوردة من البيئةِ القوميّـةِ الأوروبيةِ، لذا اعتبرت الصّهيونية أن بقاء اليهود في المَنفى يُبقيهم خارج التاريخ الذي تقيم فيه الدول الأوروبية، فالأمم التي تُـقيم فوق أرض آبائها وتؤسّـسُ سيادتها السّياسيّة عليها، هي وحدها القادرة على التحكّـم بمصيرها ودخول التاريخ الحديث. ودعوة الأمة اليهودية إلى أرض إسرائيل تُمكّنها من التغلّـب على خُـنوعها وتبعيتها السّياسيّة السلبيةِ في المنفى، وسيعمل رجوعها إلى انضمامِها إلى الشعوب المتحضّـرةِ.(بيتربيرغ، غابرييل، 2009: 121)

2- الروايات الصهيونية حول أحداث النكبة لعام 1948م

بَـدَت النشاطاتُ الصّهيونيةُ في أوروبا متأثرةً بالحركاتِ القوميّـةِ الأوروبية، وبرزت جماعات منهم تعتقد أنّ الديانة اليهوديةَ والرابطةَ العنصرية المزعومة تجعلهم مُـوحدّين في هدفٍ واحدٍ، وتجعل منهم أمةً واحدةً وقوميّـةً يهوديةً ذات حقوقٍ طبيعيةٍ كسائرِ القوميات الأوروبية الأخرى، وهذا الحق يؤهلهم أن يكون لهم كيان سياسي

منفصل يتمثل في إقامة دولة يهوديةٍ على أرضِ خاصّةٍ بهم، واستناداً إلى الروايات التوراتية وجدوا ضالّتهم في فلسطين، على اعتبار أنها أرض الميعاد.(الجبوري، أحمد حسين عبد، 2018 :7)

وهذ الأمر جعلهم يبحثون عن رواياتٍ وأراجيفَ لتبرير هذا المشروع الاستعماريّ في فلسطين، وما ارتبط به من آثارٍ كارثيةٍ مدمّرةٍ بالنسبة إلى سُكّان فلسطين الأصليين (شلومو، ساند،2014: 11) خاصّة وأنّ فلسطين بلد مأهول بالسّكان وأنّ هذا المشروع مبنيّ على فكرٍ عنصريّ متطرفٍ وعدوانيّ يهدف إلى عمليات تبديل السكان، وما رافقها من عمليات قتل وتهجير وتدمير؛ لإحلال العنصر اليهودي مكان العنصرِ الفلسطينيّ بعد السّيطرة على أرض فلسطين.

وهدفت الحركة الصّهيونية أيضًا من خَلْق هذه الرّوايات إلى الاستفادة منها في الحدّ الأقصى ضمن سياقاتٍ مختلقةٍ لاختلاقِ قوميّةٍ جديدةٍ وشحنها بغايات استعمار فلسطين باعتبارها "وطنًا" موعودًا لأبناء هذه القوميّةِ الجديدةِ القديمة منذ أقدم العصور؛ لذا استعانت بالروايات لتبرير الحروب التي سيخوضها هذا الشّعب لاحتلال الوطن، وبعد ذلك حمايته من الأعداء على اعتبار أن هذه الحروب عادلة ومبرّرة؛ وتحويل مقاومة السّكان الأصليين – الفلسطينيين في نظر العالم والقانون الدوليّ _ على أنها أعمال إجراميّة، وتسوّغ ما ارتُكِب يُرتكبُ ضدّهم من جرائمَ حربيةٍ، وهم يحملون وِزْرَ آثار هذه الحروب وشرورها.(شلومو، ساند، 2014: 12)

وبذلك تكون الحركةُ الصّهيونيةُ قد جعلت المصطلحاتِ الدينيةَ مثل: "أرض إسرائيل" و"شعب إسرائيل" وسلوك الصّهيونية إلى مُصطلحًا سّياسيًّا يستفيد من الديانة والإرثِ الدينيّ لتحقيقِ الهدفِ السّياسيّ بسرقة الأرض من أصحابها الأصليين، وتحويلها إلى وطن قوميّ، وكانت هذه الروايات تُستخدمُ منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.(شلومو، ساند،2014: 12)

وكون هذه الرّواياتِ والأراجيفِ كثيرةً ومتنـوّعـةً فلا يستطيع الباحث التطرق إليها جميعًا، واتماماً للفائدة سنعرض لبعضها الذي يخصّ نكبة عام 1948م وما سبقها. وسنترك للباحثين التطرق إلى ما عداها، من أهم الروايات التي سيتم التطرق إليها، وتخدم الهدف فهي:

- أرض فلسطين أرض خالية من السّكان؛
- فلسطين أرض بلا شعبٍ لشعبٍ بلا أرض؛
- أنّ سُكّان فلسطين غادروها عام 1948م طوعًا، والتزامًا بقرارات القيادة العربية؛
- عدم تحمّل الحركةِ الصّهيونيةِ المسؤوليةَ الرسميّـة لأحداث النكبة عام 1948م.

3- أرض فلسطين أرض خالية من السّـكّـان

أمّا بخصوص الأرض الخالية من السكان، فإن هذه الروايةَ استندت إلى العديد من المعطياتِ المغلوطةِ عن فلسطين وأهلها وحضارتها؛ لذلك وبالرجوع إلى الايدلوجيّة الصّـهيونيةِ العنصريةِ التي عرَّفت (أرض فلسطين) بأنها خالية، نجد أنها بُنيت على تجاهل وجودِ الشّعب الفلسطينيّ، وبُنيَ هذا التجاهل على فكرة نفي الأرض التي انقطعت عنها السّيادة اليهودية، وتضيف الرواية بافتقار أرض فلسطين إلى أيّ تاريخٍ حقيقيّ له معنى، وهذه الأرض تنتظر خلاصها بعد عودة اليهود إليها. (بيتربيرغ، غابرييل، 2009: 121)

وهذا لتبرير الرواية التي تتنكر لوجود الشّعب العربيّ الفلسطينيّ، وعدم قدرة أيٍّ كان على نفي الوجود الفلسطينيّ، لذا ذهبت الرواية الصّهيونية الى تفسيراتٍ وتبريراتٍ لرواياتها بحرفها عن معناها، أي أن خـلـوَّ الأرض من السّكان لم يكن بالمعنى الحرفيّ للكلمة؛ بل إلى فراغها من السّيادة اليهودية، ولدى الرجوع إلى الحقائق التاريخيةِ والسكانيةِ، نجد أنّ التواصل الاجتماعيّ العربيّ الفلسطينيّ المسلم كان على طوالِ العصورِ الزمنيةِ السابقةِ، ولم يكن هناك أيّ أغلبيةٍ يهوديةٍ في فلسطين،

ولكنّ هذا الادعاء يؤسّس للمطالبة باستردادها، وإقامة تسلسلٍ هرميّ استعماريّ يتـمّ الإقرار به من خلال سلطةٍ دينيةٍ هي سلطة الكتاب المقدس على يد الحُـرّاس التاريخيين للتصدّي لأيّ فلسطينيّ يحاول البقاء بعد عودة اليهود، وإعطاء امتيازاتٍ شاملةٍ مستندةٍ إلى الأسفار الخمسة الأولى من التوراة ليتحول المستوطن إلى فاعلٍ، والفلسطينيّ المحليّ إلى مفعول به، ومعاملته كجزءٍ من المحيط العربيّ وليس الفلسطينيّ الذي سيُهجّـر، أي إلغاء التاريخ والحضارة والسّكان الفلسطينيين لصالح المستوطن اليهوديّ.(بيتربيرغ،غابرييل 2009: 121)

وتعتقد الصّهيونية وجود إسرائيل باعتبارها دولةً تتماشى مع التطور الطبيعيّ للحركة البشرية في منطقة الشرق، ومرتبطة بالغرب، ناسين أو متناسين أنّ وجود هذه الدولة في الشّرق أوجدها خلل استراتيجيّ تمثّـل في تصوّر غير حقيقيّ عن أرض وُصفت بأنها صحراء فارغة، وليس فيها أحد وتنتظر عودة شعبها المشرّد منذ القدم ليعيد بناءها على أساس الحضارةِ الغربيةِ الحديثة، وأنّ هذه الفكرةَ التي آمن بها المستوطنون الأوائل ولم يعلموا أنّ هذه الأرض يسكنها شعبٌ حقيقيّ له حضارته وجذوره التاريخية، وتطوره المدنيّ على هذا البقعة؛ لذلك ركّـزت الحركةُ الصّهيونية على قلب الدخيل وإقناعه بأنه أصيل، واقناعه أنّ الأصل دخيل أو غير موجود، وهذه الفكرة بُنِيَ عليها تشويشات فكرية وسلوكية أدت إلى ظهور تياراتٍ فكريةٍ جديدةٍ عكست التناقض الداخليّ، وشكّلت أزمةَ هُـوّيةٍ وفقدانٍ، لأنّ المشروع الذي قامت ونهضت عليه هو الفكرة والدّولة. (بابيه، إيلان،2015: 7)

لقد استمرّت تداعيات الحرب بأشكالٍ مختلفةٍ بعد انتهائها فعليًا في شباط 1949م لسنوات عدّة رُغم توقيع اتفاقيات السّـلام مع الدولِ العربيةِ في رُودس_ (اتفاقية رودس) الموقّـعة بين المملكةِ الأردنيةِ الهاشميّـةِ وإسرائيل-، إلّا أنّ جهاز الحكم العسكريّ بدأ في تلفيق حججٍ للاستمرار في عمليات اعتقالٍ وإرهابٍ، ومنع المتسلّلين من العودة إلى أملاكهم وبيوتهم، بغيةَ طرد الأهالي خارج حدودِ الدولةِ المزعومةِ.

تجدر الإشارة إلى أنّ مثل هذه العمليات استمرّت بعد انتهاء الحرب، وخلال السنوات الأولى من خمسينيات القرن الماضي، وأحدثها الجيش والشرطة وحرس الحدود وأفراد أجهزةٍ أمنيةٍ أخرى، حيث كانت هذه سياسةً رسميةً لمنع عودة الفلسطينيين إلى بيوتهم ووطنهم. فقد شكّل الجيش لهذه المهمّة وحداتٍ خاصّةً أشهرها الفرقة "101" بقيادة أرئيل شارون، نفّذت هذه الفرقة عدّة عمليّات انتقاميةٍ من الأهالي الفلسطينيين لتفريغ الأرض من سكّانها الأصليين. (مناع، عادل، 2011: 78)

4- فلسطين أرض بلا شعبٍ لشعبٍ بلا أرض

بالنسبة للشّعار الثاني، وهو "فلسطين أرض بلا شعبٍ لشعبٍ بلا أرض"، والذي أطلقه كشعار يسرائيل زاتغويل، قبل أن يتحوّلَ إلى روايةٍ سياسيّةٍ في الدعاية الصّهيونية (شلايم آفي، 2013: 108) والحقيقة أنّ هذه الرواية لو أنّها صحيحة لما كان هناك صراع بدأ منذ اللحظةِ الأولى لأن تطأ أقدام الصّهاينة أرض فلسطين، ومازال مستمرًّا حتّى اللحظة. وصحيح أنّ الصّهيونية حقّقت حُلمُها بحكم الأمر الواقع، وأقامت دولتها على أرض فلسطين التي يصفونها بالحدودِ التوراتيةِ حسب زعمهم في أمنٍ وسلام، ولكنّ الحقيقةَ الثابتةَ أن هناك شعبًا عاش على هذه الأرض، وما زال يعيش على هذه الأرض منذ عدة قرون، ويقاومُ هذا الوجود الغريب على أرض فلسطين.(شلايم آفي، 2013: 108)

وأنّ هذه الرواية ليست سوى أكذوبةٍ مُفتعلةٍ تحملُ الدعايةَ الصّهيونيةَ المبكرةَ؛ بل إنها ظاهرة متداولة في التاريخ الإسرائيليّ الصهيوني لبناء الأمة. وللدلالة على بطلانها لدينا الكثير ممّا يُقال عن التاريخ الفلسطينيّ المتواصلِ منذ العصر الحجريّ لغاية الآن، ولكن علينا أن نستشهد بأمثلة من الصّهاينة أنفسهم لنفيها، وهنا لا بدّ من الاستشهاد، بمثالين هما:

أ.شهادة (عاموس عوز) عندما نشر مقاله في صحيفة (دافار) العبرية بحيث يبين الميل العميق بين اليهود الإسرائيليين لرواية فلسطين كبلد دون سكان، إذ قال فيها: "عندما كنت طفلاً علّمني بعض أساتذتي أنه بعد دمار الهيكل، وحين أُبعِدنا عن بلدنا (المقصود فلسطين) جاء غرباء إلى ما كان إرثًا لنا وعبثوا فيه، إنّ العرب الذين وُلِدوا في الصّحراء جعلوا الأرض خرابًا ودمّروا صفوف المنازل من عَلى التلال، وأمّا قطعان الماشية فقد دمّرت الغاباتِ الجميلةَ، وحين جاء الرّواد الأوائل إلى أرض إسرائيل أعادوا بناءها، وخلّصوها من الدمار ووجدوا أرضًا بوراً مهجورةً، ويصح القول: إنّ عددًا قليلاً من البدو المتخلّفين الأفظاظ كانوا يتجولون فيها(مصالحة، نور الدين،2003: 20)، ونلاحظ أن (عاموس عوز) اعترف بوجود عرب بدو رُحّل أفظاظٍ، _ حسب وصفه_ ليقصدَ أنهم خارجون عن الحضارة وغير متأثّرين فيها، ولم يذكر المراكزَ المدنيةَ المتطورةَ، أي أنه اعترفَ بالجزء الأسهل عليه تبريره في وصف السّكان المحلّيين بالتخلف والرّعاة المتنقلين، وهذه مغالطة إضافية.

ومن هذا المنطلق اعتقد بعض الرّواد الصّهاينة الأوائل بحكم الحقّ التوراتيّ أنّ على هؤلاء العرب العودة إلى الصّحراء وإعادة الأرض إلى أصحابها، وإذا لم يفعلوا ذلك طوعًا فعلى الصّهاينة أن يفعلوا ذلك لكي يَرِثوا هذه الأرض كما فعل أجدادهم الذين غَزَوْا أرض كنعان (مصالحة، نور الدين،2003: 19) لذا يتضح أنّ الفكر العنصريّ الصهيونيّ لطرد السكان الأصليين متجذّر لدى الصّهاينة.

ب- أمّا المثل الثاني للدلالة، فهو خطاب (إسحق شامير) في افتتاحه مؤتمر مدريد عام 1991م عندما اقتبس من كتاب (مارل توين) بعنوان (أبرياء في الخارج)، عندما زار فلسطين عام 1867م ووصف سُكانها المحلّيين بأوصاف تتميّزُ بالقبح والازدراء الفكاهيّ، حيث نجد أنّ هدف (شامير) الذي اعتبر مؤتمر مدريد مناسبة احتفاليّة ومنصّةً دعائيةً تتمثّل في إثبات أن فلسطين كانت منطقةً خاليةً، وحسب

كلمات شامير فإنّها بلد مهجور يتربّع على كيس من الرماد، أي أنها مساحة صامتة وحزينة لا يستطيع الخيال أن ينيرَها. (مصالحة، نور الدين،2003: 21)

استُخدمت هذه العبارات للدلالة على أن فلسطين خاليّة من السكان، ولا يوجد فيها شعب وتبعه في بثّ هذه الدعاية كلّ من آرئيل شارون و بنيامين نتنياهو رئيس وزراء دولة الاحتلال الحالي، الذين وصفوا فلسطين بأنها مهدّمة ومهجورة وقليلة السّكان، وأنّ استمرارهم في استحضار الماضي البعيد والحديث للدلالة عن أنّ هذه الأرض صعبة ترفض الزراعة أو تحويلها إلى أرض منتجة تتطلب جهدًا غير طبيعيّ لإعمارها، وهذا ما فعله اليهود والرُّواد الصّهاينة الذين وصفوها بأنها عبقرية إسرائيل، متجاهلين إسهامات أهلها بالحضارة البشرية قبل ظهور قدوم الصّهاينة.

أمّا من ناحية التاريخ الفلسطينيّ والمراكز الحضرية المدنية فهل كان أحمد باشا الجزار وظاهر العمر في مراكز مدن متطورة ومحصّنةٍ أم في صحراءَ خاليةٍ، وبالرجوع إلى الشّهادات، فإنّ عُـدول لجنة (اوتسكوب) عن فكرة فلسطين دولة ديمقراطية واحدة؛ لمنع سكان فلسطين من التصويت على مصيرها لأنّ غالبية السّكان من الفلسطينيين؛ لذا عدلت اللجنة عن الفكرة،، وأوصت إلى الجمعيّة العامة للأمم المتّحدة بإقرار قرار التقسيم والقاضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين مرتبطةٍ بوحدةٍ اقتصاديةٍ ونظامٍ خاصٍّ لمدينة القدس التي ستخضع إلى إدارةٍ دوليةٍ من قِبل الأمم المتحدة، وبذلك تكون الأمم قد تجاهلت كلّياً التركيبةَ السّكانية الأثنية للبلد، وقبلت الادعاءاتِ القوميّةَ للحركة الصّهيونية بالنسبة إلى فلسطين بإعطائها ما يزيد على نصف مساحة فلسطين مُبـرّرةً ذلك بسبب رفض الفلسطينيين لقرار التقسيم.(بابيه، إيلان،2007: 41) وكيف للسّـكان الأصليين أن يقبلوا تقسيم وطنهم مع الأغراب لمجرد صدور قرار من مؤسّسةٍ دوليةٍ حديثةٍ تجهل تاريخ فلسطين وملكيتها وحضارتها.

5- ادعاء الحركة الصّهيونية بأنّ سُكان فلسطين غادروها عام 1948م طوعًا والتزامًا بقرارات القيادة العربيّة

ركّزت هذه الفِرية وهذه الأُكذوبةُ على أنّ الفلسطينيين لم يتم يُطردوا ولكنهم غادروا بمحض إرادتهم أو تلبيةً لأوامر زعمائهم على أمل العودة المظفّرة، ومن الظاهر أنّ هذه الدعاية تعارض الواقع في عدة أمور رئيسة (شلايم، آفي،2013: 108) خاصّة وأنّ الرّواية الصّهيونية ركّزت على بطولات عناصرها في نكبة 1948م وبما أنّ الفلسطينيين العرب غادروا أراضيَهم بمحض إرادتهم، فأين هو وجه البطولات التي تحدثت عنها الحركة الصّهيونية، وإذا لم يكن هناك بطولات، فإنّ هناك نكبةً وفظاعاتٍ ارتُكبت بحقّ الفلسطينيين، وأنّ الصّهيونية في أراجيفها فضّلت إسقاط العنصر الفلسطيني من القصة برمتها واختفاء القدسية بانصياعها للأيدولوجية الصهيونية في أحداث 1948م(بابيه،إيلان،2015: 74) وكانت السّمة الأبرز للتاريخ الصّهيونيّ في فلسطين تظهر الصّهاينة في تصدّيهم للأشرار الفلسطينية على مرّ الزمن.

إنّ إظهار المجتمع اليهوديّ بأنه ضحّيةٌ وعرضةٌ للإبادة، وأنه محاط بالخطر الوجوديّ كان مسوّغاً لما سيحدث من استخدام مفرط للقوة ضدّ السّكان الفلسطينيين رغم التعبير عن ذلك بإيجاد صورة داود في مواجهة جالوت العربيّ، لتدلّ على الجيوش العربية المتوجّهة إلى فلسطين؛ لمواجهة مجموعاتٍ صغيرةٍ من القوات اليهودية، ويدعم هذا مجموعة من المؤرّخين الإسرائيليين المختصّين وغير المختصّين لوصف النصر الصّهيونيّ بأنه معجزة ربانية (بابيه، إيلان، 2015: 78) وبالنظر إلى موازين القوى الحقيقية في حرب 1948م ندرك مدى المغالطة التي رُوّج لها، حيث كانت القوات الصهيونية مسلّحةً بأسلحةٍ حديثةٍ، وتفوق في عددها وعدّتها القواتِ العربية في فلسطين، والتي كانت قد افتقرت إلى القيادة والعدد والعُدة.

ومن ناحية أخرى اتسم التاريخُ الصّهيونيّ بالتعبئةِ الفكريةِ العقائديةِ المليئةِ بمظاهر العداء والإزداء للسّكان الأصليّين (شلايم،آفي،2013: 109) وأنّ الصّهيونية

تعاملت مع السّكان الأصليّين بعدوانيةٍ ووحشيةٍ، وانتهكوا كل القواعدِ والحدود والأعراف أيضًا، كان ذلك بلا سبب إلّا لاتّباع غرورهم الاستعماريّ، بل تفاخروا بذلك، الأمر الذي نتج عنه عمليات تهجير وطرد؛ وظهر ذاك في سلوك القادة السّياسّيين قبل القيادة الميدانية، ويتضح أنّ (بن غوريون) كان على رأس هذه العصابة التي عملت على التهجير وارتكاب المجازر مع سبق الإصرار، ولم يكن ذلك في أثناء المعارك ليُبرر بأحداث تطلبها المواقف القتالية ففي أكتوبر 1937م – أي قبل قرار التقسيم وقبل الحرب- كتب في رسالة إلى ابنه يقول فيها: " أننا يجب أن نطردَ العرب، وأن نحتلّ أماكنهم وإذا كان علينا استخدام القوة ليس لطرد عرب النقب وإمارة شرق الأردن، بل لضمان حقّنا في الاستيطان في تلك الأماكن" (شلايم، آفي،2013: 112)، يدلّ هذا الخطاب، ليس على نهج الفرد في عقلية بن غوريون، وإنما يدلّ على أفكارٍ توسعيّةٍ إقليميّةٍ حسب فكر بن غوريون، وهذا يُبرّرُ رفض القيادة الصّهيونية الحلول جميعَها والمقترحاتِ لمعالجةِ وضع الأقلية اليهوديةِ في فلسطين، ومعالجة مشكلة الديمغرافيا إلّا من خلال التهجير، ويستدّل من الدراسات والوثائق أنّ فكرة تهجير الفلسطينيين خارج حدود الدولة الصهيونية كانت فكرةً منتشرةً في دوائر القرار لدى القيادة الصهيونية منذ عام 1937م والمستندة إلى فكرة اللورد بيل تبعًا لمشروع التقسيم باعتبار ذلك هو الحلّ الممكن للصراع، (موريس،بيني: 2001، 45) وهذا يدلّ على أنّ قرار التقسيم كان مخططًا له قبل عقد من الزمان لصدوره.

إنّ فكرة المستوطنين الصّهاينة خُلِقت بالأساس لتحرير الأرض من السّكان المحلّيين وانتزاع ملكيتها، لذا تمّ تحرير الفلسطينيين المفروزين للتهجير، وجرى تجريدهم من واقعهم الإنسانيّ وحقوقهم القوميّة بطردهم من بيوتهم والاستيلاء عليها.(مصالحة، نور الدين، 1992: 79) رغم التعامل مع السّكان الفلسطينيين باعتبارهم جماعاتٍ هامشيّةً لا كيان لها، الأمر الذي وُلّدَ لدى غالبية الجماعات الصّهيونية موقفًا من اللامبالاةِ والإهمالِ والتفوقِ الاستعلائيِ وإنكارِ حقوقهم الوطنية واقتلاعهم وترحيلهم إلى دول الجوار، وللتدليل على ذلك نستشهد بمقالة

نشرها عاموسى عوز في جريدة (دافار) العبرية للمقارنة بين أرض من دون شعب، والأغنية الشّعبية العبرية (ل شيمر القدس من ذهب) مُبرّراً فيها الحديثَ عن الترحيل.

"يبدو أنّ سحر تجديد الأيام الغابرة هو الذي أعطى الصّهيونية التوجّه العميق والجذور لرواية بلد من دون سُكانها ... وكم كان ملائِمًا لو أنّ العودة إلى صُهيون كانت للاستيلاء على الأرض من الجيوش الرومانية أو من أمم كنعان وفيلِستا، إنّ القدوم إلى بلدٍ خالٍ تمامًا سيكون أفضلَ، لأنه سيشكّل خطوةً قصيرةً إلى نوع من التجاهل الإداريّ المبنيّ على إغفال وجود السكان العرب في البلاد وإهمالهم خاصّة، وأنهم لم يُنشِئوا أي أصولٍ ثقافيةٍ ذاتِ قيمةٍ.(مصالحة، نور الدين، 1992: 82) ويُستدلّ من هذا المقال اعتراف صريح من شاعر مثل (عاموس عوز) بوجود شعب فلسطينيّ، أمّا أفكاره لوجود ثقافة لهذا الشّعب، فإنّ الذاكرة لم تُسعفه بالاطلاع على إسهامات الشّعب الفلسطينيّ الثقافية ضمن الأمة العربيةِ والإسلاميّة.

إنّ الاضطلاع على رأي النقّاد التاريخيين، خاصّة ما ذكره بيني موريس في كتابه "ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين 1947-1949م" يظهر اختلاف واضح عن الرواية الرّسميّة، ويذكر أسبابًا متعدّدةً ومختلفةً أسهمت في قرار الفلسطينيين وليس مغادرتهم والدلائل تسير إلى الضّغوط العسكرية الصهيونية على السّكان باعتبارها أهم الأسباب. (شلايم، آفي، 2013: 108) ويشكّلُ هذا روايةً جديدةً للتخلص من المسؤوليةِ الأخلاقيةِ والسياسيّةِ والقانونيةِ لما جرى.

لكنّ الحقائقَ المستندة إلى الوثائق والأبحاث المنشورة تفيد بأنّ العصابات الصّهيونية عملت جاهدةً على طرد السّكان للحصول على أرض أكبر، وسكان أقلّ لإقامة مجتمعٍ يهوديّ متجانسٍ، وأنّ المجازرَ التي أرتُكِبت تدلّ على ذلك بوضوح.

6- عدم تحمل الحركة الصهيونية المسؤولية الرسمية لأحداث النكبة عام 1948م

للإجابة عن هذا السؤال وبعد الرجوع إلى الوثائق والأبحاث الفعلية ونتائجها تبيّن الآتي:

من الناحية الفكرية والعقائدية؛ فإننا وجدنا أن هناك خلفياتٍ فكريةً وعقائديةً تؤسّسُ لما حدث لدى الصّهيونية وقادتها حسب ما ذُكر من شهادات، وأنّ التداول لفكرة التهجير للسّكان الفلسطينيين لم تكن غائبة عن الاجتماعاتِ الرسميّةِ لقادة الصّهيونية السّياسيّة العسكريةِ، وغالبيتها مستندة إلى المرجعياتِ والقصصِ التوراتيةٍ لاستخدامها في تبرير هذا الفكر العنصريّ والعدواني المرتبط بالاستعمار وأهدافه؛ بغية السّيطرة على الأرض الفلسطينية، والتّهميش والإبعاد والتّـهجير، ورفع الشّرعية عن السّكان الفلسطينيين، لتبرير الممارسات المستخدمة ضـدّهم. وأنّ هذه الروايات صيغت بطريقة ماكرة ، لتظهر العدوان على أنه حرب تحرير وطنيّ ضمن حركات التحرر في العالم الثالث، وليست حربًا ضدّ الفلسطينيين(بابيه، إيلان، 2015: 72) ولا تشير هذه الحرب إلى صراعٍ مباشرٍ مع الفلسطينيين، ولا مع الدول العربية، بل وُصِفت الحرب بأنها حرب استقلال عن بريطانيا وتحرير عبودية الشّتات في محاولة منها لتجاوزِ الحقائقِ السكانيةِ والصّراعِ على الأرض، وهدفت هذه الروايةُ الصّهيونيةُ إلى أنّ اليهود في فلسطين انتصروا في حرب كان الهدف منها القضاء على الحكم والوجود الصّهيوني، وأنّ هذا الانتصار رغم كـلّ الصّعوبات والتحدّياتِ لمجتمع تَشَكّـلَ من بقايا الناجين من الهولوكوست، وأنهم حاربوا بشقّ الأنفس حكومة بريطانيا ودولاً عربية توحدت فيما بينها في حرب إبادة ضد اليهود، وأنّ هذا النصر تحقّقَ بفضل عبقرية بن غوريون - رئيس الوزراء الإسرائيليّ في حينه- والجنود في الميدان.(بابيه، إيلان،2015: 72)

إنّ هذه الأفكار فيها مغالطات عدّة؛ حيث إنّ بريطانيا وفرّت للحركةِ الصّهيونية الغطاء والشّرعية والدعم والتسليح، وأسهمت في الناحيتين النظريةِ

والسياسيّةِ والفعليةِ في إيجاد هذا الحيّز، وإقامة الدولة الصّهيونية، ودعم العصابات الصهيونية وتسليحها بل ساعدت هيئة الأمم المتحدة في إعطاء شرعيّةٍ دوليةٍ بقرار التقسيم رقم "181"؛ وتُعتبر شريكًا أساسيًّا بما حلّ بالشّعب الفلسطينيّ من نكبةٍ واضطهادٍ وتهجيرٍ.

لقد أفْضَت مجريات الأحداث إلى خَلْق مشكلة اللاجئين الفلسطينيين بسببِ هجماتٍ العصابات الصّهيونية بتخطيطٍ وقرارٍ من قيادتها السّياسيّة والعسكريةِ على المدن والقرى الفلسطينية ومحاصرتها، وضربها بالمتفجّراتِ والممارساتِ الوحشيّةِ، وما استخدمته من حرب نفسيّةٍ وقرار مجلس وزراء العدّو في يونيو 1948م القاضي بطرد السّكان، وعدم السّماح بعودة اللاجئين إلى مُدنهم وقراهم، وتؤكّد الوثائقُ الرسميّةُ الصّهيونيةُ مسؤولية اليشوف وإسرائيل طرد الفلسطينيين واخراجهم من المناطق التي أصبحت تُسمّى – فيما بعد- دولة إسرائيلي عام 1948م.(بيني،موريس،2001: 42) وأنّ ما حدث في الجليل والنقب والمدن الفلسطينية الساحلية يؤكّد أنّ سلوك التطهير العرقيّ كان سلوكاً مشتركاً بين النُّخبِ العسكريةِ والمدنيةِ في آنٍ واحدٍ.

وبغضّ النظر، سواء كانت هذه التعليمات شفهيةً أو مكتوبةً؛ فإنّ المسؤوليةَ الرسميّةَ عمّا حصل يقع وِزْرَه على النُّخب السّياسيّةِ والعسكريةِ والقانونيةِ للحركةِ الصّهيونيةِ ودولة إسرائيل، وكون بريطانيا هي الدّاعم والمساند، لذا تتحمّل المسؤولية بالدرجة الثانية بعد دولة الاحتلال، وأنّ بن غوريون يُعتبر رأس الحربّةِ في سياسةِ التطهيرِ العرقيّ والمجازرِ التي حصلت للشّعب الفلسطينيّ.

الخاتمة:

نستنتج ممّا سبق أنّ الصّهيونية توجّهت إلى فلسطين لحلّ مشكلة يهود أوروبا بشكل عام ويهود أوروبا الشّرقية بشكلٍ خاصٍ، مُتبنّيَةً الأفكارَ المسحيانية بعد ثورةِ الإصلاح الدينيّ واغتيالِ القيصر في روسيا لعدم رغبتها في هجرة يهود أوروبا الشّرقية إلى أوروبا الغربية، وتعاونت في ذلك مع الإمبريالية العالميّـةِ، وعلى رأسها بريطانيا لتحقيق أهدافها الاستعمارية في الشّرق الإسلاميّ.

وأنّ الحركة الصّهيونية استغلّـت الديانةَ اليهوديةَ لتجميع يهود العالم باسم الدين والقدسيّة لتحقيق أهدافها السّياسيّة، بعد أن نجحت في تحويل الدين اليهوديّ التبشيريّ إلى قوميّةٍ تعمل في السياسيّـة، لا يوجد توافـقٌ كاملٌ بين الديانةِ اليهوديةِ والحركةِ الصّهيونيةِ على اعتبار أنّ الصّـهيونية تدخّـلت في شؤون الرّبّ بهدفِ تجميعِ اليهودِ للتسريعِ في ظهورِ المسيح المنتظرِ، وهذا مخالف للدين رغم نجاحها في إقامة دولتها في فلسطين التي اغتصبها بقوة السّـــلاح.

أمّا بخصوصِ الرّواياتِ الصّهيونيةِ، فقد أثبتت الدراسة أنّ فلسطين لم تكن أرضًا خاليةً، وأنّ الشّعب الفلسطينيّ كان موجودًا على أرضه منذ أقدم العصور، وحافظ على تواصل اجتماعيّ وحضاريّ وتاريخيّ فيها ضمن التركيبةِ الاجتماعيّةِ للشّرقِ الإسلاميّ، وأنّ الشّعب الفلسطينيّ لم يغادر أرضه طوعًا، وأملاكه بهدف ايجادِ دولةٍ يهوديةٍ منسجمةٍ اجتماعيًا من خلال القوةِ العسكريةِ المدعومةِ من الاستعمارِ البريطانيّ، وساعدتها في هيئة الأمم المتّحدة باتخاذ قرار التقسيم رقم "181" ممّا أعطى هذه العصابات شرعيةً دوليّةً لطردِ السّكانِ الفلسطينيين من الأرض التي خُصِّصت زورًا وبُهتانًـا للصّهاينة.

لذا نجد أنّ الحركةَ الصّهيونيّـة والدولةَ الوليدةَ مسؤولة من الناحيةِ السّياسيّـةِ والقانونيةِ والاجتماعيّـةِ والاقتصاديةِ، ويحملُ معها الوِزْرَ في الدرجةِ الثانيةِ الحكومةُ البريطانيةُ وهيئةُ الأمم المتّحدة الذين تقع عليهم المسؤولية،

مجتمعين ومنفردين على التوالي والاعتراف بتحمّل مسؤولياتهم عمّا حلّ بالشّعب الفلسطيني من نكبة عام 1948م.

ويوصي الباحث أيضًا الاستمرارَ بالاطّلاع على الوثائقِ البريطانيةِ والصّهيونيةِ، وإجراءِ أبحاثٍ إضافيةٍ لتثبيت الحقّ الفلسطينيّ أمام الرّواياتِ الصّهيونية، وحثِّ وسائلِ الإعلامِ على التّركيز على ما جرى للتأثير في الرّأي العام الدّوليّ.

لائحة المصادر والمراجع

- بابيه، إيلان، **التطهير العرقي في فلسطين**، ترجمة: أحمد خليفة، الطبعة الأولى، مؤسّسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، تموز/ يوليو، 2007م.
- بابيه، إيلان، **عشر خرافات عن اسرائيل**، ترجمة: سارة ح. عبد الحليم، الطّبعة الأولى، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، حيفا: مكتبة كّل شيء، 2018م.
- بابيه، إيلان، **فكرة إسرائيل: تاريخ السلطة والمعرفة**، ترجمة: محمّد زيدان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،2015م.
- بيتربيرغ، غابرييل، **المفاهيم الصّهيونية للعودة – أساطير وسياسات ودراسات إسرائيلية**، ترجمة: سلافة حجاوي، رام الله، مدار المركز الفلسطينيّ للدراسات الإسرائيلية، 2009م.
- روجان إيوجين شليم آفي، **حرب فلسطين: إعادة كتابة تاريخ 1948**، الطبعة العربية الأولى، ترجمة: ناصر عفيفي، الكتاب الذهبي مؤسّسة روز اليوسف، 2001م.
- ساند، شلومو، **اختراع "أرض إسرائيل"**، ترجمة: أنطوان شلحت وأسعد زغبي، طبعة خاصة بالعالم العربي، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية، مدار المركز الفلسطينيّ للدراسات الإسرائيلية، رام الله، 2014م.
- الشريف، ريجينا، **الصّهيونية غير اليهوديّة جذورها في التاريخ الغربي**، ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز، عالم المعرفة، 96 – ربيع الأول، 6 سبتمبر (كانون الأول)، سلسلة كتب شهرية يُـصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، 1985م.
- شلايم، آفي، **إسرائيل وفلسطين: إعادة تقييم**، ومراجعة، ودحض وتفنيد، ترجمة: د. حسين محمد ياغي وبسمة محمد ياغي، تقديم: د. محمد شاهين 2013م.
- غارودي، روجيه، **يُقاضي الصُّهيونية الإسرائيلية**، الطبعة الأولى، ترجمة: رانيا بوناصيف وبيار ريشا، مراجعة وتحرير: هنري زغيب، دار عويدات للنشر والطّباعة، بيروت - لبنان، 1998م.

- فارس، ضرغام غانم، **الروايات التوراتية ما بين السياسة والسياحة وعلم الآثار**، دار كُتُبنا، 2020م.
- المسيري، عبد الوهاب، **الصهيونية والعنف.. من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى**، الطبعة الأولى1421هـ- 2001م، الطبعة الثانية، 1433هـ - 2002م، دار الشّروق.
- المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- نموذج تفسيريّ جديد**، الجزء الثاني، القاهرة- مصر- دار الشروق، 1999م.
- مصالحة، نور الدين، **إسرائيل وسياسة النفي- الصهيونية واللاجئون الفلسطينيون**، ترجمه إلى العربية: عزت الغزاوي، مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله، 2003م.
- مصالحة، نور الدين، **طرد الفلسطينيين، مفهوم "الترانسفير" في الفكر والتخطيط الصّهيونيين 1882-1948**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، بيروت، كانون الثاني/يناير، 1992م.
- مصالحة، نور الدين، **فلسطين: أربعة آلاف عام في التاريخ، مركز دراسات الوحدة العربية**، بيروت، 2020م.
- موريس، بيني، **مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين**، الجزء الثاني، ترجمة: أ.د.عماد عواد، عالم المعرفة، سلسلة كتب شهرية يُصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت،2001م.

الأبحاث المنشورة:

- الجبوري، أحمد حسين عبد، **سياسة فرنسا تجاه اليهود في فلسطين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر- دراسة وثائقية**، جامعة تكريت، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، صلاح الدين، العراق، المؤتمر الدوليّ السلطان عبد الحميد في الذاكرة العربية والعلاقات التركية- العربية/ جامعة دوملوبيتار/ كوتاهيا/ تركيا، 2018م.
- منّاع، عادل، **مجزرة كفر قاسم، الفلسطينيون في إسرائيل – قراءات في التاريخ**،

والسياسة، والمجتمع، تحرير: نديم روحانا وأريج صبّاغ _ خوري، مدى الكرمل، المركز العربي لدراسات الاجتماعية التطبيقية، 2001م.

المو اقع الإلكترونية:

- بودميع، الحسين، اليهودية ديانة قومية أم تبشيرية؟، مجلة البيان، العدد 344، ربيع الثاني1437هـ يناير،2016. https://albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?ID=4849